مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 07 / العـدد: 01 (2021)، ص 300- 315

الرحلة العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس بين القرنين الثالث والسادس الهجريين (رحلة القلصادي القرن التاسع الهجري أنموذجا)

The scientific journey between central Maghreb and Andalusia between the third and sixth centuries AH

(Al-Qalsadi's Journey, the ninth century AH as a model)

د. مصطفى علوي[1*]
[1] جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، mostefa.aloui@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام: 2020/08/01 تاريخ القبول: 2021/05/11 تاريخ النشر: 2021/06/30

الملخص:

تعدُّ رحلة أبي الحسن علي القلصادي من أهم الرَحلات العلمية الأندلسية الحجازية، فلقد جاءت متأخرة عن سابقاتها، إذ كانت في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي، ومما يمكن الإشارة إليه أنَ القلصادي ابتدأ رحلته بذكر شيوخه بمدينة بسطة بالأندلس ثم وصف المدينة، ومن العدوة الأندلسية انتقل صوب بلاد المغرب فكانت تلمسان أول حاضرة حل بها نظرا لمكانتها العلمية آنذاك، والتي استقرَ بها مدة لنهل العلوم عن شيوخها. واصل القلصادي رحلته بالمغرب الأوسط زار خلالها وهران وغيرها من المدن، بعدها شق طريقه نحو بلاد المشرق، وكان الغرض من ذلك التَزود بمختلف العلوم وزيارة البقاع المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة. ويتَضح أنَ القلصادي استغل فرصا كثيرة أثناء رحلته قصد التواصل والأخذ من الشيوخ والعلماء بالأقطار التي مرّ بها. وأثناء عودته تشبَع بمختلف العلوم وحصل على إجازات عديدة، واستقر القلصادي أخيرا بتلمسان ودرّس بحلقات العلم التي كانت تقام بها.

الكلمات المفتاحية: الرحلة، بسطة، الأندلس، تلمسان، القاهرة، البقاع المقدسة.

Abstract:

The journey of Abi Al-Hassan Ali Al-Qalasadi is one of the most important scientific journeys in Andalusia, the Hejaz, as it came later than its predecessors, as it was in the ninth century AH / fifteenth century AD. It can be noted that Al-Qalasadi began his journey by mentioning his Sheikhs in the city of Basta in Andalusia, then he described the city, and from the Andalusian enemy he moved towards the countries of the Maghreb. Hence, Tlemcen was

* المؤلف المرسل

the first metropolis he settled in due to its scholarly position at the time, and in which he settled for a period of time to learn science from its Sheikhs.Al-Qalqsadi continued his journey in the central Maghreb, during which he visited Oran and other cities, after which he made his way to the countries of the East, in order to acquire various sciences and visit the holy spots in Makkah and Madinah. It is evident that the Qalqasadi took advantage of many opportunities during his journey in order to communicate and learn from the Sheikhs and scholars in the countries he visited. During his return, he was had accumulated various sciences and obtained many licenses. The Qalasadi finally settled in Tlemcen and taught the science groups that were held there.

Keywords: The Journey, Basta, Andalusia, Tlemcen, Cairo, the Holy Lands.

مقدمة:

يعد أدب الرحلة من الفنون الذي صوّر لنا المشاهد المختلفة والجوانب السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية لمختلف الأماكن حطوا بها الرحال أو مروا عليها، من خلال ما عاشه الرحالة نفسه أثناء رحلته، فكتبهم بمثابة مصادر مهمة في الكتابة التاريخية، نظرا لما تزخر به من معلومات متنوعة ومهمة من خلال ما قيدوه من أحداث.

ومن بين الرحلات الأندلسية التي كانت بدوافع علمية، رحلة أبي الحسن القلصادي الأندلسي (ت 891 ه) الموسومة بـ :"تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب"، التي وصفها البعض بآخر الرحلات العلمية الأندلسية، ففي هذه الرحلة مرّ القلصادي بالمغرب الأوسط وزار حواضره العلمية كان أبرزها تلمسان عاصمة بني زيان التي استقر بها بعض الوقت، ليواصل رحلته نحو حواضر المشرق الإسلامي.

والإشكالية التي يمكن طرحها هي: من هو القلصادي؟ وأين تكمن أهمية رحلته العلمية ؟ وكيف وصف لنا الحياة العلمية بحواضر المغرب الأوسط ؟

وتتلخص أهداف هذا البحث في:

- التعرف على مدى مساهمة أدب الرحلة الأندلسي عامة، ورحلة القلصادي خاصة في تزويد القارئ معلومات في مختلف الميادين.

- إبراز الجانب العلمي في رحلة القلصادي من خلال مظاهر العلم بالحواضر التي زارها من علوم مختلفة مع ذكر أهم الشيوخ والعلماء.

- التعرض للصلات العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس من خلال رحلة القلصادي.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي الذي يسرد الأحداث مع تسليط الضوء على تلك التي لها علاقة بالجانب العلمي بين الأندلس والمغرب الأوسط.

2. التعريف بأبي الحسن القلصادي الأندلسي: (815 - 891 هـ/1412 – 1486 م)

1.2 مولده و نشأته:

هو علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن الشهير بالقلصادي الأندلسي العالم العامل، الشيخ الصالح الفاضل المؤلف الرحال المعتني بلقاء الرجال خاتمة علماء الأندلس وحفاظه (مخلوف, محمد بن محمد;، 2003، صفحة 377)، ولد بمدينة بسطة(*Baza*)الأندلسية الواقعة في الشمال الشرقي لغرناطة و التابعة لكورة "جيان" بالأندلس وهي مدينة ذات مناخ جميل و طبيعة خلابة أحبها القلصادي من أعماقه (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 31 - 32) و وصفها ودعا لها بقوله:« بسطة مسقط رأسي، وموضع أول أنفاسي، مقر الألفة و الأنس، من جزيرة الأندلس، أدامها الله للإسلام، و حماها من عبدة الأصنام.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 86 - 87) وكان مولد القلصادي سنة 815 هـ/1412م (الزركلي, خير الدين;، 2002، صفحة 10)أو قبلها (السخاوي, شمس الدين محمد بن عبد الرحمن;، 1992، صفحة 14) أو بعدها بقليل. و في مدينة بسطة الأندلسية الجميلة نشأ وترعرع أبو الحسن علي القلصادي.

2.2 تعليمه و شيوخه:

تلقى علي القلصادي دراسته الأولى في مدينة بسطة على شيوخها (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 32):

- الولي الصالح أبو الحسن علي بن عزيز المهتم بقراءة القرآن.
- أبو عبد الله محمد القسطرلي الورع المشارك في كثير من علوم الشريعة و علوم العربية.
- المقرئ أبو بكر البياز.
- أبو عبد الله محمد بن محمد البياني.
- أبو أحمد جعفر بن أبي يحي المتضلع في الفقه و الفرائض و الحساب.
- أبو الحسن علي اللخمي القرباقي الحاذق لعلوم عصره.

كانت دراسة القلصادي تتمحور حول مختلف العلوم في عصره وخاصة تجويد القرآن و تفسيره، والحديث النبوي وفروع الفقه وقواعد العربية والحساب الذي له صلة وثيقة بالفرائض، وكان منهج الدراسة يعتمد المنظومات والمتون وشروحها التي كانت سائدة في مدارس الأندلس والمغرب في ذلك العهد. (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 33)

3.2 رحلته و نشاطه العلمي:

بدأ القلصادي رحلته ونشاطه العلمي سنة 840 هـ/1437 م، قاصدا المراكز الثقافية الشهيرة في عصره بالمغرب والمشرق للنهل والاغتراف من ينابيعها الفياضة.اتجه أولا إلى مدينة تلمسان التي كانت تعيش في ذلك الوقت أزهى أيام حياتها الثقافية، فأخذ عن أشهر أعلامها.

أقام القلصادي في مدينة تلمسان ثمانية أعوام و كان لهذه المدينة الحظ الأوفر من إقامته خلال هذه الرحلة، و لعل ذلك يعزى إلى ما ظفر به لدى طلبتها من حظوة وتقدير، ولدى علمائها من استفادة و مودة (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 34 - 35) ثم تركها إلى وهران كما جاء في رحلته:«ثم أجمعت أمري على السفر، و قطعت حرف الجزم عن التواني والاستقرار، وذلك عام ثمانية وأربعين وثمانمائة، فقدمت وهران بعد مفارقة تلمسان، وأقمت بها برهة من الزمان، مع عدة من الأحباب والإخوان» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 116) و كان قصده دائما لقاء الشيوخ و تحصيل العلوم.

كانت تونس المركز العلمي الثاني الذي ارتحل إليه القلصادي للأخذ من مراكزها العلمية ومدارسها مختلف العلوم والفنون من أعلام تونس وشيوخها (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 35 - 38)، وعبَّر عن إعجابه به لما رأى فيه:«سوق العلم حينئذ نافقة وينابيع العلوم على اختلافها مغدقة، فلا ترى مدرسة أو مسجدا إلا والعلم فيه يبث و ينشر» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 120) وأقام القلصادي بتونس مدة سنتين ونصف سكن خلالها بالمدرسة الجديدة بحي باب السويقة، وبالمدرسة المنتصرية القريبة من جامع الزيتونة وذلك في رحلة الذهاب إلى البقاع المقدسة (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 36)للقيام بمناسك العمرة و أداء فريضة الحج.

غادر القلصادي تونس قاصدا الديار المصرية و عن هذا يقول:«وإذ تجدد خاطر الرحلة إلى الديار المصرية، والأخذ عن الأشياخ والعلماء الجلّة الفضلاء، أجمعت أمري على ذلك، واستخرت الله في أن يهديني إلى أقوم المسالك، إلى أن تهيأ مركب برسم الإسكندرية، وكان سفرنا من مرسى تونس كلأها الله 14 من شهر ربيع الأول عام 851 هـ / 30 ماي 1447 م» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 127 - 128)

وصل القلصادي إلى مدينة القاهرة و زار بعض معالمها و وصف أحوالها قائلا:«و دخلنا القاهرة...و رأينا فيها من الأمور و الأحوال، ما لا يعده الحصر و القياس، من كثرة الخلق و ازدحام الناس، و نزلت بجامع الأزهر، و وجدت هناك بعض الفضلاء و الأخيار من أهل المغرب» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 131 - 132) ويبدو أن إقامة القلصادي بالقاهرة كانت قصيرة، فمنها انطلق القلصادي في رحلته إلى الحجاز.

وبعد رحلة استمرت حوالي خمس عشرة سنة، جنى فيها القلصادي أطيب الثمار العلمية واحتك ببعض أقطاب عصره في بلاد المغرب و المشرق، عاد إلى مسقط رأسه بسطة فترة من الزمن، انتقل بعدها إلى غرناطة لملازمة شيوخ الأندلس و علمائها، منهم الشيخ أبو عبد الله محمد السرقسطي وأبو إسحاق ابراهيم بن فتوح (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 168 - 173)

4.2 وفاته:

أحس القلصادي بالخطر يتفاقم بالأندلس و الداعي لتفكيك هذه الرقعة الإسلامية التي عرفت قيام أزهى حضارة في ذلك العهد، فرحل إلى باجة بأفريقية و واصل نشاطه العلمي و ذلك سنة 888 هـ (أحمد رمضان, أحمد;، صفحة 393) و بها تُوفي في منتصف ذي الحجة من سنة 891 هـ/ ديسمبر 1486 م و دفن بمكان يعرف عند أهل باجة بالمسيد بضاحية سيدي فرج، على ربوة تشرف على المدينة، و يردد بعض الشيوخ أن القلصادي أُغتيل بيد آثمة توقع صاحبها أن يكون له ثروة ، و طمع في الاستيلاء عليها، فخاب ظنه، ومن الناقلين لهذا الخبر المتواتر المرحوم محمد الماي الذي يروي عنه حفيده محمد العنابي ذلك، كما يروي ذلك عن الشيخ محمد الشواشي الباجي (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 55)، لكن الروايات تضاربت حول وفاته.

3. أهمية الرحلة:

تظهر أهمية رحلة أبي الحسن علي القلصادي في اعتماد المترجمين لعلماء القرن التاسع الهجري ما ورد فيها من أعلام الذين اتصل بهم صاحب الرحلة وذكر أحوالهم وأشار إلى قيمتهم العلمية وإلى ما يدرسون من علوم وأنواع الكتب:فمن الذين أخذوا عن هذه الرحلة المقري صاحب«نفح الطيب»، وأحمد بابا التنبكتي صاحب«نيل الابتهاج»، وابن مريم صاحب «البستان»، ومخلوف صاحب «شجرة النور الزكية الطيب»، وهم يذكرونها تارة باسم الرحلة وتارة باسم الفهرست (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 76)

تشتمل رحلة القلصادي على ثلاثة وثلاثين رجلا أخذ عنهم صاحب الرحلة في الأندلس قبل في الشروع في الرحلة وبعدها، وفي مراكز أخرى ببلاد المغرب والمشرق خلال الرحلة، كما تعد رحلة القلصادي وثيقة من الوثائق التي تصور نشاط العلماء وطرقهم في التدريس والتعليم وكتبهم التي يتداولونها (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 76) في مختلف العلوم.

تعد رحلة القلصادي من المصادر الهامة التي تزخر بمعلومات قيّمة و تعطي صورة واضحة عن الأحوال العلمية والثقافية في بلاد الأندلس و المغرب و المشرق في زمانه.

4. -حاضرة تلمسان:

لم تكن الرحلة العلمية عند المغاربة و الأندلسيين بدافع الحج وحسب، بل أصبحت هي نفسها ضرورة، و قد كانوا يمتازون بالإقبال على العلم للعلم ذاته (الشوابكة, نوال عبد الرحمن;، 2008، صفحة 34 - 35) واشتهروا بكثرة ما كتبوا من رحلاتهم إلى المشرق، مثل رحلة علي القلصادي الأندلسي(ت 893 ه)، و كانت رغبتهم في ذلك معرفة العالم المحيط بهم من آداب وعلوم (علوي, مصطفى;، 2015، صفحة 28).

بدأ القلصادي رحلته العلمية الحجازية في سنة 840 ه/1436-1437 م، وكان أول مركز علمي له مدينة تلمسان التي كانت تعيش أزهى أيام حياتها الثقافية (الناصر, سعاد;، 2021)، بعدما ارتحل من وهران إليها – أي تلمسان - قائلا في رحلته:(وجعلت كلما لاح

بارق ارتحت إليه، أو ذَرَّ شارق سلَّمت من البعد عليه، إلى أن ركبت البحر من المنكب، وسهل الله أمرنا في ذلك المركب، فحللنا بوهران، وأقمنا بها أياما في سرور وأمان، ثم توجهنا إلى المقصودة بالذات، المخصوصة بأكمل الصفات:تلمسان يا لها من شأن، ذات المحاسن الفائقة، والأنهار الرائقة، والأشجار الباسقة، والأثمار المحدقة، والناس الفضلاء الأكياس، المخصوصين بكرم الطباع والأنفاس، ولا ينكر وجود الفاذ من جميع الأجناس، وادركت فيها كثيرا من العلماء، و[الصلحاء والعباد]والزهاد...) (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 100)

أثنى القلصادي صاحب الرحلة على الأحوال الثقافية والعلمية بتلمسان قائلاً:«... وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين و المعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية...» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 100) وأخذ خلال رحلته العلمية عن شيوخ أثناء إقامته بمدينة تلمسان الزيانية، و قد أورد ذكرهم في رحلته « تمهيد الطالب و منتهى الرَّاغب إلى أعلى المنازل والمناقب»، فهم:

- **عيسى الرتيمي:**

قال عنه القلصادي في رحلته:«و منهم شيخنا و بركتنا الفقيه الصدر العلم في الفرائض و العدد، أحد عصره، وفريد دهره في فنه:سيدي أبو مهدي عيسى الرتيمي. شهر بأم الزيان، لم أر أعلم منه بكتاب الحوفي في الذين أخذت عنهم.و أخبر ﷺ أنه: لم يسر إلى القراءة على سيدي سعيد العقباني إلا بعد أن قرأ جميع الحوفي على والده ست مرات، وحضره مع الغير نحو الثمان عشرة ختمة.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 103)

أخذ القلصادي عن عيسى الرتيمي علوم كثيرة في تلمسان جاء ذكرها في رحلته وأشفق عليه من عناء الرحلة إلى كي يتعلم حيث قال القلصادي:« فقرأت عليه كتاب

الحوفي من مواضع مختلفة، [بطريقتي الصحيح و الكسور]، و كان له مقصد حسن في التعليم، مع خلق رضية و تسليم. (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 104)

و رغم غزارة العلم الذي تميّز به عيسى العلم الرتيمي، إلا أنه لم يُوفق في التعليم، ربما نظرا للطريقة التي كان يسلكها في التعليم و هذا ما أشار إليه القلصادي في رحلته: «ولم يكن يحسن تعليم المبتدئ، و لذلك لم يشتهر عند جميع الناس كغيره، توفي رحمة الله عليه في... ودُفن بقرب الولي الصالح سيدي الحلوي.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 104)، ولم تضبط رحلة القلصادي تاريخ وفاته بشكل دقيق.

- **محمد الشريف** (ت 847 هـ):

أوردت بعض كتب التراجم (ابن مريم, أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد;، 1908، صفحة 222) ترجمته مقتصرة على جاء في رحلة القلصادي الذي قال فيه:«و منهم شيخنا الفقيه الإمام الصدر العلم الحسب الأصيل:سيدي أبو عبد الله محمد الشريف، إمام مسجد الخراطين، اختصر «شرح التسهيل» لأبي حيان.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 104)، لكن الاسم في الأصل ابن حيان.

تعلم القلصادي منه علوم كثيرة، ذكرها في رحلته: «قرأت عليه «تلخيص المفتاح»، وبعض«التسهيل»لابن مالك، وكذلك «مفتاح الأصول» للسيد الشريف التلمساني، وحضرت عليه بعض الألفية وبعض المرادي عليها، و«الجمل» للزجاجي و«التنقيحات» للقرافي. توفي ﷺ عام سبعة وأربعين و ثمانمائة = 1443 – 1444 م، ودُفن خارج باب الجياد.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 105)

- **محمد بن النجار**(ت 846 هـ):

تحدث القلصادي عن شيخه محمد بن النجار في رحلته فقال عنه:«و منهم شيخنا الإمام العلامة المتفنن سيدي أبو[عبد الله] محمد النجار، و كانت له مشاركة في العلوم النقلية و العقلية.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 107)، ويمكن تصنيف محمد بن النجار ضمن العلماء التلمسانيين الذين جمعوا بين المنقول و المعقول، وهي شيمة ميزت القليل من العلماء.

تعلم القلصادي من شيخه محمد بن النجار علوم كثيرة، ذكرها في رحلته:«قرأت عليه بعض مختصر الشيخ خليل، وبعض «المستصفى» للغزالي، وبعض ابن الحاجب الأصلي، وكذلك «تلخيص المفتاح»، وحضرت عليه بعض تفسير الكتاب العزيز، و بعض كتاب «الإرشاد» لإمام الحرمين، و«المنهاج» للبيضاوي، و «البرهانية» للسلالجي، و«الجمل» للخونجي، و «تلخيص المفتاح» غير مرّة، و بعض الخفاف، و شيئاً من «المدونة».توفي ﷺ عام ستة و أربعين وثمانمائة = 1442 – 1443 م، ودفن بمقبرته من بستانه خارج باب الجياد، وهناك صُلي عليه.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 107 - 108)

- **أحمد بن زاغو(ت 845 م):**

يعتبر أحمد بن زاغو أحد أبرز شيوخ القلصادي، حيث قال عنه في رحلته:«و منهم شيخنا و بركتنا الفقيه الإمام المفتي المصنف المدرس المؤلف، ذلك سيدي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي الخزري شهر بابن زاغو» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 108)، و قد تخصص ابن زاغو في علوم كثيرة و أبحر فيها، فقال عنه القلصادي في رحلته:«أعلم الناس في وقته في التفسير، وأفصحهم في التعبير، [أخذ] بمذهب الإمام مالك، وفاق على نظرائه و أقرانه في [دلائل السبل] والمسالك، إلى سبق في الحديث والأصول وقدم راسخة في التصوف، مع الذوق السليم والفهم المستقيم» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 108)، فكان

المذهب المالكي وكل ما يتصل به من علوم، من أولويات علماء تلمسان خلال العهد الزياني، حيث نجد الرحّالة المغاربة والأندلسيين يشيرون إليه في مصنفاتهم.

و عن نسب شيخه ابن زاغو يقول القلصادي في رحلته:«له نسب أشهر من الشمس في السماء، و حَسَب كاتساق عقد النجوم في بحر الظلمات، و خُلق أندى من الزهر و أسوغ من الماء، و نزاهة الهمة العالية، و المشاركة المباركة للخاصة و العامة، من هذه الأمة، مع إيثارة الخلوة، وإجابة الدعوة.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 108 - 109)، فتقرَّب منه القلصادي لعلمه و صلاحه، فقال:«و أنا مذ رأيت نجاح دعواته، و صلاح حالي بالتماس بركاته، لازمته و ترددت إليه فكنت أجد في مجالسه فوائد تنسي الأوطان، و أرد من بحر فيضه ما يحيا به الظمآن، فسرعت إلى خدمته مسرعاً، و إلى مبرته مبادراً، إلى أن صيرني كبعض أولاده، و أنزلني منزلة أحد أصدقائه و أخدانه.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 109)، فكان علماء تلمسان حريصين عطوفين على طلبة العلم، خاصة الغرباء منهم الذين هجروا ديارهم و قطعوا مسافات للتعلّم.و مهما يكن الأمر فإن تقرُّب العالم أو الشيخ من طالب العلم أثمرت في كثير من الأحيان، فجعلت يقتدي بشيخه و يسلك نهجه في النهل من العلوم.

تعلم القلصادي عن شيخه ابن زاغو علوم كثيرة ذكرها في رحلته:«:فقرأت عليه بلفظي رواية جميع «صحيح البخاري»، و من أول كتاب مسلم إلى أثناء باب الوصايا.و من تآليفه: مقدمته على «التفسير» و«تفسير الفاتحة»، و«التذييل في ختم التفسير»، و«منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح»، غير مرة، و «شرح التلخيص لوالده»، وقرأت عليه أيضا «الحكم» لابن عطاء الله و شرحها ثانياً لابن عباد، و «لطائف المنن»، و«تأليف سيدي أبي يحي الشريف على المغفرة»، وبعض القصد إلى الله، و كذلك كتاب «الإحياء» للغزالي و بعض مختصره لسيدي أبي عبد الله البلبالي، ومن مختصر الشيخ خليل من الأقضية إلى آخره، و ابن الحاجب الفرعي من الأيمان و النذر، وبعض ابن

الحاجب الأصلي.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 109)، و هذا ما عكس مستوى شيخه ابن زاغو و سعة إطلاعه على مختلف المصنفات الفقهية.

قال القلصادي عن شيخه ابن زاغو الذي مارس التعليم بالمدرسة اليعقوبية: «ولازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقه في أزمنة الشتاء، والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في زمن الصيف، ويوم الخميس والجمعة لقراءة التصوف و تصحيح تأليفه.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 109 - 110)، ثم يضيف القلصادي في رحلته عن سلوك شيخه ابن زاغو:«كانت أوقاته ﷺ مضبوطة للعبادة و أزمانه محفوظة للإفادة، و أفعاله مرضية، وسجاياه محمودة، لولا عجائب صنع الله ما ثبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب.ولا أعلم أنه كان يأمر بفعل ويخالفه، اقتداء بالسلف الصالح» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 110):

شعر ابن زاغو شيخ القلصادي بدنو أجله، فبدا في آخر عمره في تلمسان كأنه يتأهب للرحيل عن الدنيا، فزاد من العبادة وفعل الخير، وعبر عن ذلك القلصادي حين قال:«و آخر بيت أنشدني يوم جمعة بعد خروجنا من الصلاة، ولم يشهد بعدها جمعة أخرى» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 111): تمتع من شيم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

- **قاسم العقباني**(ت 854 هـ):

قال القلصادي عن شيخه قاسم العقباني في رحلته:«و منهم شيخنا و بركتنا الإمام الفقيه المعمر ملحق الأصاغر بالأكابر، العديم النظراء والأقران، المرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان: سيدي أبو الفضل قاسم العقباني ﷺ، ذو أبهة و بهاء و حبوة مملوءة من علم، خالية من ازدهاء، وخلقة سمعت في مطالع الحسن إلى أنهى كمال، وأكمل انتهاء.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 112 - 113)

كان الشيخ قاسم العقباني يفقه علوم كثيرة جمعت بين المعقول والمنقول وعلم اللسان، حيث تتلمذ على يديه بعد وفاة شيخه أحمد بن زاغو، فأوضح ذلك القلصادي في رحلته قائلاً:«انفرد بفتي المعقول و المنقول، و اتحد في علمي اللسان و البيان، و هو فيما عدا يفوق الصدور، و يفيض على مزاحمته [البحور، ولي خطة القضاء] بتلمسان في صغره، ورأى أمله من ذريته في كبره، و أحرز في طلب العلم قصب السبق و حازه، و قطع فيه صدر العمر واستقبل إعجازه، عكف على تعليم العلوم، و عطف على تقدير المعدوم منها و المعلوم، فأفاد الأفذاذ و أمتع الجهابذة و النقاد، و أسمع الأسماع ما اشتهى كل منها و أراد، فسمعت منه و أخذت عنه، و لازمت مجلسه بعد وفاة الشيخ سيدي أحمد بن زاغو ﷺ إلى أن ارتحلت من تلمسان و لما عدت إليها وجدته بقيد الحياة.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 112 - 113)، فكان لزاما على القلصادي بعد وفاة شيوخه، أن يبحث عن شيوخ العلم، و هذا ما وقع له بعد وفاة شيخه ابن زاغو.

تحدث القلصادي عن العلوم التي أخذها عن شيخه قاسم العقباني قائلاً:«و مما قرأت عليه بلفظي بعض مختصر «المدونة» لابن أبي زيد و بعض مختصر خليل، و بعض الحكم لابن عطاء الله و شرحها لابن عباد، و بعض الحوفي بطريقتي التصحيح و الكسور، و بعض المناسخات من الشرح لوالده سيدي سعيد، و بعض مختصره في أول الدين، وغير ذلك. وحضرت عليه كتباً متعددة في علوم شتى.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 113)، وعن أخلاق و وفاة شيخه العقباني قال القلصادي في رحلته: «كانت أخلاقه ﷺ حسنة مرضية، قلَّ أن يرى الراؤون مثلها.توفي ﷺ في شهر ذي القعدة من عام أربعة و خمسين و ثمانمائة = ديسمبر 1450م أو أوائل جانفي 1451 م، وصُلي عليه بالجامع الأعظم و دفن بغربية بالروضة هناك، قرب الشيخ سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق، و كانت له جنازة عظيمة حظرها السلطان فمن دونه» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 113)

حضر القلصادي أربع مجالس علم في تلمسان، لكنه لم يتتلمذ على شيوخها، ويبدو أن حضور القلصادي لها جاء بعد وفاة شيوخه بتلمسان الذين تتلمذ عليهم، فكان عليه أن يبحث عن شيوخ آخرين، والشيوخ الأربعة الذين حضر مجالسهم العلمية هم:

- **الحسن بن مخلوف:**

هو الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي، أبو علي، كان عالماً ولياً صالحاً قطباً غوثاً، أخذ عن إبراهيم وابن مرزوق (الحفيد)، و ممن أخذ عنه الحافظ التنسي وعلي التالوتي والشيخ السنوسي، كان الحسن بن مخلوف لا يخاف في الله لومة لائم كما كان رحيماً بالمؤمنين شفيقاً عليهم.كانت وفاته آخر شوال سنة 857 هـ (ابن مريم, أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد;، 1908، الصفحات 74 - 93)، قال عنه القلصادي في رحلته: «فمنهم الشيخ الولي الصالح سيدي الحسن بن مخلوف الراشدي الأصل، القاطن بتلمسان الشهير بأبركان ﷺ، وشهرته تغني عن تعريفه.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 113 - 114)، كما أورد ابن صعد في «روضة النسرين» جملة من كراماته.

- **أبو الفضل ابن الإمام:**

هو محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام حلاه ابن مريم في البستان: «الإمام العلامة الحجة النظار المحقق العارف اللوذعي الرحلة أحد أقران ابن مرزوق الحفيد.» (ابن مريم, أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد;، 1908، صفحة 220)، قال عنه القلصادي في رحلته:«فمنهم الشيخ الفقيه الإمام الصدر العلم سيدي أبو الفضل ابن الإمام.كان عالماً بالمعقول.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 114)

- **محمد بن العباس:**

هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس التلمساني (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 113 - 114)، تحدث عنه ابن مريم في البستان:«الإمام العلامة المحقق المتفنن المحصل القدوة الحجة المفتي الصالح الحافظ المتقن البركة.» (ابن مريم, أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد;، 1908، صفحة 223)، قال عنه القلصادي في رحلته:«و منهم الفقيه الإمام سيدي أبو عبد الله محمد بن العباس، متفنن في العلوم.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 114)، ورد ذكره في كتب أخرى.

- **سليمان البزيدي:**

هو سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني أبو الربيع عالم محصل محقق، كان قائماً على المدونة و ابن الحاجب مستحضراً لفقه ابن عبد السلام وأبحاثه. توفي سنة 845 هـ (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، الصفحات 113 - 114)، قال عنه القلصادي في رحلته: «و منهم الفقيه الإمام العالم بمذهب الإمام مالك سيدي سليمان البُزيدي.» (القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;، 2011، صفحة 115)

خلاصة القول أن رحلة أبي الحسن القلصادي من الرحلات الأندلسية العلمية التي مرّ صاحبها بالمغرب الأوسط، بدءا بوهران ثم تلمسان عاصمة الزيانيين وحاضرة علمية مكث بها صاحب الرحلة بعض الوقت وأخذ عن شيوخها وحضر مجالس العلوم المختلفة وتحصل على إجازات علمية .

كما أن الرحلة رسمت صورة واضحة عن تلمسان كمنارة علمية كانت تعجّ بطلاب العلم من مختلف الأوطان بما فيها الأندلس، وأهم ما ميزّ رحلة القلصادي أنها تشبه

الفهرست الذي يقيد فيه الرحّالة شيوخه، غير أنه أشار فيها على العموم إلى العلماء في مختلف العلوم.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

1- السخاوي, شمس الدين محمد بن عبد الرحمن;. (1992). *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* (المجلد 6). بيروت: دار الجيل.

2- القلصادي الأندلسي, أبو الحسن علي;. (2011). *رحلة القلصادي*. (تح محمد أبو الجفان، المترجمون) بيروت: دار ابن حزم.

3- ابن مريم, أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد;. (1908). *البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان*. الجزائر: المطبعة الثعالبية.

ب- المراجع:

4- أحمد رمضان, أحمد;. *الرحلة والرحالة المسلمون*. جدة: دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

5- الزركلي, خير الدين;. (2002). *الأعلام* (المجلد 5). بيروت: دار العلم للملايين.

شوابكة, نوال عبد الرحمن;. (2008). *أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري*. الأردن: دار المأمون للنشر والتوزيع.

6- علوي, مصطفى;. (2015). تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة والأندلسيين من القرن السابع الى القرن التاسع الهجري(13 - 15م). أطروحة دكتوراه - كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.

7- ابن مخلوف, محمد بن محمد;. (2003). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

ج- المواقع الالكترونية:

8- الناصر, سعاد;. (16 جوان, 2021). *رحلة القلصادي الحجازية، آخر الرحلات العلمية الأندلسية*. تاريخ الاسترداد 16 جوان, 2021، من ملتقى الأدبيات:
https://adibaat.net/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9/%D8%B1%D8%AD%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%84%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AC%D8%A7%D8%B2%D9%8A%D8%A9%D8%8C-%D8%A2%D8%AE%D